

وحاول ابن رشد أن يوفق بين الأدلة المتعارضة ^(١) :

فهو يقدر الجبر من ناحية العوامل الخارجية والأحوال النفسية التي تعطل إرادة الإنسان ، كما يقدر الاختيار فيما هو متروك للإنسان وإرادته . وعنده أن الأسباب الخارجة عن إرادتنا هي القضاء والقدر . وهذا المذهب قريب مما ذهب إليه الفلاسفة الحديثة ، من القول بالاضطرار تحت ضغط عوامل قاهرة ، من النفس أو من البيئة الخارجية . والقضية كما يبدو ، لا أول لها ولا آخر ، وما تزال الحرب سجالات بين مذهبي الجبر والاختيار .

وإن كان الأخلاقيون قد قرروا مسئولية الإنسان عن عمله إلا أن يكون عمله تحت ضغط دوافع غالبية على إرادته خارجة عنها . والقوانين الوضعية على اختلافها ، تقضي بالمسئولية مع تقدير الدوافع القهرية والظروف المعطلة لإرادة الإنسان .

وبعيداً عن جدل المتكلمين وحوار الفلاسفة وقوانين المشرعين وأحكام الأخلاقيين ، أعلنت الصوفية رأياً الجهير :

« إن لله عبادة إذا أرادوا أراد » .

وهم يعدون أنفسهم أصحاب الحقيقة ، وغيرهم أصحاب الشريعة والنزاع بينهم وبين الفقهاء ذائع مشهور ^(٢)

* * *

وأياً ما كان الأمر ، فقد انتهى الموقف في البيئة الإسلامية إلى شيوع مذهب الجبر ، لأن الذين قالوا بالاختيار ، كانوا معتزلة أو صوفية

١ في : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة .

٢ انظر فيه رسالة « النزاع بين الفقهاء والمتصوفة » للدكتور عبد المحسن الحسي .